مـــقـــدمـــة

يهتم علم نفس الأسرة وعلم اجتماع الأسرة بخصائص أفرادها وعلاقتهم، وشبكة الروابط بين الأفراد، ومن أهم مواضعهما: شخصية الأولياء، طباع الأبناء، أساليب التربية الأسرية العلاقات الأسرية، الزواج، القرابة، التنشئة الاجتماعية، القيادة داخل الأسرة، ووظائف والأسرة...الخ.

كما يعتمد علم نفس الأسرة علم اجتماع الأسرة أيضا على أهم النظريات النفسية والنظريات الاجتماعية السائدة في مجال علم النفس وعلم الاجتماع؛ كالنظرية التحليلية والسلوكية والنسقية؛ والوظيفية والثقافية، والاقتصاد–اجتماعية.

فالتحليل النفسي يقارب الأسرة من وجهة نظر دينامية، ويفسر السلوكات والتفاعلات الأسرية باستخدام مفاهيم: الأوديب، الإسقاط، التقمص، ومن جهتها ترى المدرسة النسقية أن المشاكل الأسرية ناتجة عن صعوبات اتصالية بين الأم والأبناء من جهة، والأولياء والأبناء من جهة ثانية. في حين يرجع السلوكيون الاضطرابات الأسرية إلى خلل في التربية حيث أُشرط الأبناء وعُززوا على السلوكات الخاطئة.

في حين يهتم علم اجتماع الأسرة بدراسة وظيفة وبنية الأسرة وتُجمع النظريات الاجتماعية التي تتناولها على أهميتها في تكوين الفرد والمجتمع، كما يهتم بأصول نشأتها وعوامل تماسكها وأسباب تفككها، وأهم العوامل الثقافية والاقتصادية التي تعمل على تماسك أو انحلال الأسرة.

إن اختلاف وجهات النظر في ممارسة الأدوار الأسرية وظهور تحديات اقتصادية للأسرة يؤدي إلى ظهور صراعات داخلها، وهذا الصراع موجود في كل أسرة لكن بشكل مستمر ودائم وهو جزء من كفاح الأسرة في وجودها.

وتشكل الأسرة المنبع الحقيقي لأفرادها ليُنَشئُوا على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وهي التي تمنحهم خصوصية الانتماء للمجتمع من خلال أهم عملية وهي التنشئة الاجتماعية التي تمدهم بالأخلاق، الأعراف والقيم التي يتوجب على كل فرد من أفراد الأسرة الامتثال لها حتى يتحقق الضبط الاجتماعي.

تشكل طفولة الإنسان إحدى المحطات الرئيسية في مسيرته الحياتية، وعبر أحداثها وتجاربها وخبراتها تترك أعمق البصمات والآثار لبناء شخصيته، لذلك يمكن احتساب تلك الخبرات والتفاعلات بمنزلة قطب الرحى في عملية تحديد سيرورة تطور تلك الشخصية، ورسم مسارات تشكلها، فإما أن تجعل منه كائنا اجتماعيا قادرا على استدخال معايير منظومته الثقافية ومتمثلاً أبجدياتها –الأمر الذي يتجسد في شخصيته التي تظهر متكيفة مع محيطه الاجتماعي متآلفة مع عناصره– وإما أن تغرس فيه بذور التنافر والتوتر والاختلال التي تتفاعل فيما بينها مفضية إلى خلق شخصية مضطربة معقدة تتنازعها تيارات الانحراف.

وفي ضوء ذلك ينبغي إعطاء تلك المرحلة أقصى درجات العناية والحماية، وإحاطة الأطفال خلالها بمناخات إيجابية صحية تضمن لهم النمو السليم المتكامل بمختلف أبعاده الجسمية، النفسية، العقلية والاجتماعية.

بيد أن هناك مشكلات عديدة قد تعكر صفو تلك الأجواء المنشودة لتشكل خطرا يهدد دعائم استقرارها، ومن أبرزها ظاهرة أطفال الشوارع التي أصبح يعاني منها عدد كبير من دول العالم، سواء المتقدمة منها أو النامية، وتعد الجزائر من بين هذه الدول التي عرفت استفحال لمثل هذه المشكلة الاجتماعية التي بدأت تتفاقم في الواقع الاجتماعي لمجتمعنا دون محاولة التصدي لها بشكل كاف في الوقت الراهن.

ويمكن إرجاع ذلك إلى أسباب مختلفة، ترجع إلى الغموض والالتباس الذي تكتنفه ظاهرة أطفال الشوارع من زوايا عدة، سواء من حيث المفهوم، الحجم، العوامل وكذا الآثار أو سبل مواجهتها، كما أن ندرة الدراسات العربية –والتي ترجع بالدرجة الأولى إلى الغياب الواضح للإحصاءات الدقيقة حول هذه الظاهرة وحجمها– يُعد من بين المشاكل التي تعيق فتح مجال البحث في ذلك الأمر، الذي يبرز أهمية الخوض في معرفة حيثيات هذه المشكلة الاجتماعية.

وكما أشار إليهم أحد المهتمين بدراسة الظاهرة في عبارة جد معبرة :" إنه إذا تم جمعهم بمكان واحد لشكلوا لوحدهم بلدا كاملا"، إذ نجد هذه الشريحة من الأفراد يتواجدون عبر كامل مدن العالم الغنية منها والفقيرة، وتقدر أعدادهم بالملايين، يعيشون على السرقة والعنف، وقد يندمجون في عصابات ليبنوا لأنفسهم أسرا تمنحهم شعورا حقيقيا بالأمان داخل نسق أسري تراتبي لم يعهدوه من قبل، ويتحولون مع مرور الزمن إلى فئة اجتماعية مهمشة بل وتدرج في

أسفل السلم الاجتماعي؛ يستغلهم الغير بلا حرج ويُسيئون معاملتهم يُسجنون وفي بعض الأحيان يُقتلون، يعمل هؤلاء الأطفال في مهن تافهة ويعمل العالم على تناسيهم وتجاهلهم، يرون في الكبار أعداءً لهم، أطفال لا نفهم أشياء كثيرة عن تفاصيل حياتهم، يكتنف الصمت قصتهم، حتى أن اصطلاح "أطفال الشوارع" أصبح يحمل أكثر من مدلول اجتماعي عن هذه الفئة، وهم بالنسبة للآخرين أفراد دون هدف ولا هوية، وأكثر من ذلك هم مصدر إزعاج وينبغي الزج بهم في السجن والمؤسسات الإصلاحية حتى يستقيموا ويعتدل سلوكهم.

إن هؤلاء الأطفال الذين رمت بهم متاهات الحياة إلى الشارع فاختاروه حضنا بدل أحضان أسرهم التي تكون قد أمدتهم بموروث من القيم يضيفونه إلى رصيد جديد من القيم التي يكتسبونها من حياة الشارع لاحقا، وسيتعايشون ويتنمذجون مع ما يفرزه هذا الشارع من قيم جديدة قد تختلف إلى حد كبير مع ما تتطلبه التنشئة في المجتمع والأسرة على حد سواء، هذه التناغم بين ما يكتسبه الطفل من أسرته ومما يكسبه من هذا الفضاء الفيزيقي الشاسع والغامض؛ هو الذي يتيح لهؤلاء الأطفال الصمود ويسمح لهم بالعيش والتعايش والبحث عن لقمة العيش وسبل الأمان بما يوفره الشارع ومعطياته.

إن مشكلة أطفال الشوارع ليست بالمشكلة البسيطة التي يمكن حلها بزيادة مستوى التسامح أو الاحترام للأطفال، وإنما تحتاج إلى تفعيل كل قوى المجتمع للتصدي لها، فهي تكتسب أهمية خاصة بوصفها تعكس خللا واضحا في أجهزة وأساليب التنشئة من خلال مؤسساتها المختلفة، وما تعكسه بكل واقعية وصدق من مشاكل عدم التكيف الاجتماعي والنفسي، ومشاكل الأسرة والبيئة في كل مظاهرها وعواملها، وتؤدي في النهاية إلى نبذ هؤلاء الأطفال، فيهيمون على وجوههم بلا هدف أو غاية أو ارتباط أسري، ويتخذون من الشارع مأوى لهم أو مجالا لكسب قوت يومهم والدخول من ثم إلى عالم" أطفال الشوارع".

فكان أن جاء البحث الحالي الموسوم بـ: " أطفال الشوارع وإشكالية التربية والقيم : مقاربة نفس اجتماعية " محاولة لفهم أنساق القيم التي يتبناها هؤلاء الأطفال من قبل أسرهم، وكذا معرفة أهم الأساليب التربوية التي من شأنها أن تساهم في إكساب أطفال الشوارع هذه القيم.

في هذه الدراسة اتبعت الباحثة منهجا توليفيا تكامليا حاولت الربط بين الاتجاهين النفسي والاجتماعي معا، وهدفت إلى دراسة القيم الأسرية التي ينشأ عليها أطفال الشوارع وكذا أساليب التربية الأسرية الشائعة لدى فئة من أهم الشرائح التي تستغيث ببؤسها، ويستغيث

معها المجتمع الدولي بتداعياتها وآثارها ألا وهي: "أطفال الشوارع" ؛ حيث تسعى هذه الدراسة إلى استقصاء القيم الأسرية التي ينشأ عليها أطفال الشوارع من الجنسين، ومن جهة أخرى مقارنة أساليب التربية الأسرية لدى الجنسين من أطفال الشوارع، وهى الطريق الذي يقودنا إلى معرفة طبيعة القيم التي يتقمصها هؤلاء الأطفال والأسلوب التربوي الشائع لدى هذه الفئة التي تمتهن التسول وتبتاع الأشياء التافهة والبسيطة لكسب قوت يومهم.

وقد تم تقسيم العمل إلى فصول، يتقدمها الفصل الأول الذي خصص لطرح إشكالية البحث ومنطلقاته، أين حاولنا أن نبرز من خلاله مشكلة البحث، تساؤلاته، وفرضياته، ومرورا بأهمية البحث وأهدافه، لنختم هذا الفصل باستعراض الدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث من قريب أو من بعيد.

وتلاه الفصل الثاني الذي أوسمناه بالإطار المفهمي للبحث ونظرياته، أين تناولنا كل المفاهيم المتعلقة بالبحث بالتحليل الابستمولوجي الدقيق، وطرح الرؤى النظرية لمفاهيم البحث، حتى يسمح لنا كل ذلك بتبني الإطار الملائم لمتغيرات البحث.

وجاء الفصل الثالث للحديث عن الإطار المنهجي للبحث، حيث تم استعراض الدراسة الاستطلاعية ونتائجها، ثم الحديث بشيء من التفصيل عن الدراسة الأساسية وإجراءاتها، مبرزين أبعادها المختلفة من حيث المنهج الملائم، مجالات الدراسة، عينتها، وأخيرا أهم الأدوات التي استعنا بها للنزول إلى ميدان البحث، مع إشارة لصعوبات اعترضت الجانب الميداني من البحث.

أما الفصل الرابع فكان بوابة التراث النظري للبحث حيث تناولنا فيه الخصائص النفسية والاجتماعية والتربوية للأطفال، وختمناه بالحديث عن حقوق الطفل بين التشريعات الوضعية والإسلام.

وأُفرد الفصل الخامس للحديث عن القيم والأخلاق وتكونها عند الطفل، حيث تم التطرق إلى طبيعة القيم، عناصرها، وظائفها، أهم وأشهر التصنيفات التي قدمها العلماء لها، كما تم الإشارة أيضا إلى أهم الوسائط التي تقوم على نقل القيم إلى الفرد، وكذا النمو الخلقي وعلاقته بالنمو القيمي، وفي ختام هذا الفصل تحدثنا عن اضطرابات القيم وأهم الأدوات التي أوجدها العلماء لقياس القيم.

في حين جاء الفصل السادس لنستعرض من خلاله التنشئة الاجتماعية والتربية الأسرية، حيث تحدثنا عن أنماط التنشئة الاجتماعية ليتم بعدها الحديث عن أنواع الأسر ووظائفها وكذا أساليب التربية الأسرية ، لنختم في الأخير بالحديث عن خصائص وسمات الأسرة الجزائرية وأهم القيم وأساليب التربية السائدة فيها.

أما عنوان "أطفال الشوارع : المشكلة والآثار" فكان مخصصا للفصل السابع، حيث ابرزنا في البداية أطفال الشوارع بين حقوق الطفل والاتفاقيات الدولية، واستعرضنا تطور وحجم مشكلة أطفال الشوارع دوليا ومحليا، مرورا بالأسباب التي أدت إلى انتشار مثل هذه الظاهرة في العالم، كما تناولنا بشيء من التفصيل السمات والملامح التي تميز أطفال الشوارع والمخاطر التي يتعرضون لها، وأهم التصنيفات التي قدمها العلماء لهم، وكيف يتعامل القضاء مع الظاهرة دوليا ومحليا، وفي الأخير تناولنا أهم الوسائل الوقائية والعلاجية لظاهرة أطفال الشوارع.

أما ختام هذا التراث النظري فكان من نصيب الفصل الثامن الذي جاء ليكشف لنا واقع أطفال الشوارع بين العمالة والتشرد، وقد حاولنا من خلال هذا الفصل مفارقة أطفال الشوارع بين ظاهرتي عمالة الأطفال وظاهرة التشرد اللتين ابرزنا أهم أبعادهما وتطوراتهما وحجمها وعلاقتهما بأطفال الشوارع، وختمنا هذا الفصل بالحديث عن المبادرات المنجزة لمواجهة مشكلة أطفال الشوارع محليا ودوليا.